المعسكرات بانهم سيواجهون الموت المحتم لحاولوا الفرار ، وما كان باستطاعة القوة الصغيرة الموجودة هناك لحراستهم ان تنجح في منعهم . ويكتب المؤرخ المجري اينو ليفاني قائلا : « مما لا ريب فيه انه لو كان مئات الالوف من اليهود المجريين يعلمون اي مصير ينتظرهم ، ولو اعلموا بذلك ، لما استطاع النازيون سوقهم كالخراف الى الغيتوات ، ومن هناك ، بالسهولة ذاتها ، الى قطارات الموت . الا ان احدا لم يعلمهم بذلك . وبالعكس ، فالمنظمات اليهودية ، وبينها الوكالة اليهودية ، طمأنتهم وحثتهم على الاذعان لجميع الطلبات بغية اجتناب شر اعظم » .

وعندما خرجت دولة اسرائيل الى حيز الوجود ، اعطي كاستنر منصبا مسؤولا في وزارة الصناعة والتجارة . كذلك انيطت به مهمة الاشراف على دائرة « صوت اسرائيل » التي توجه الاذاعات الى المجر ورومانيا .

في ١٩٥٣ رفع كاستنر دعوى قدح وذم ضد الصحافي م. غرينوالد : وكان هذا الاخير في مقالته قد اماط اللثام السرية عن نشاط كاستنر الخائن في المجر . وقد ارتدت الدعوى اخيرا الى نحر كاستنر عندما نظرت فيها احدى محاكم القدس . فقد اثبتت شهادات الشهود والوثائق الحقيقية انه كان يتواطأ مع النازيين . وفي محاكمة اخرى جرت في بودابست في ايار (مايو) ١٩٥٥ ، تم فضح كاستنر بشكل قاطع كمتعاون مع النازيين . فقد اعترف ، بعدما وضع في موقف حرج ، بانه تعاون مع ايخمان وبيشير وغيرهما من قتلة اليهود . الا ان صراحته كلفته حياته . ففي الثالث من ايار ، ١٩٥٧ ، اطلق عليه الرصاص في الشارع ، ومات في مستشفى اسرائيلي في ظروف غامضة نوعا ما . وخلال التحقيق في اطلاق الرصاص ، تبين ان اثنين من المهاجمين الثلاثة كانوا عملاء للشرطة السرية الاسرائيلية . وقال احدهما للمحكمة انه تصرف بناء على اوامر الشرطة السرية الاسرائيلية . وهكذا نجح الزعماء الصهاينة في اسكات زميلهم الثرثار .

ولم تكن قضية كاستنر بالحالة الاستثنائية بين الصهاينة . فان س. مايير ، رئيس الفرع الصهيوني في سويسرا ، افتدى هو الاخر زملاءه من النازين . وقد فعل ذلك بواسطة قائد فرقة الصاعقة النازية هانز اغن . وقد استخدمت الصاعقة المبالغ الكبيرة من المال المعطاة لاغن لشراء مواد استراتيجية ووسائل نقل ومعدات عسكرية .

وكانت احدى الظواهر القبيحة هي تعاون المنظمة الصهيونية ، المسماة « يودنرات » — Judenrats ، مع النازيين . وقد ساعدت القتلة النازيين على فرض نظامهم بالقوة في الغيتوات . واعدت المنظمة قوائم بالنزلاء المحكوم عليهم بالموت ، واعدت « صندوق مقايضة » للاشخاص الذين سيستبدلون بالصهاينة العاملين كلما وردت اسماء الاخيرين في قوائم فرقة الصاعقة للاشخاص الذين سيبادون . وكانت منظمة يودنرات في لفوف باوكرانيا تشتمل على رأسماليين يهود امثال هاينريش لاندزبرغ ويوسف بارناس واينوغلر وادولف راتفيلد . وكان لها جهاز اداري يضم نحو ٣٠٠٠ ، وقوة شرطة من ٧٥٠ رجلا مسلحين بالهراوات المطاطية . وساعد هؤلاء الاخيرون رجال الصاعقة في المحافظة على الانضباط في الغيتو وفي سوق الاشخاص المحكوم عليهم بالاعدام الى داخل عربات تحملهم الى الخارج حيث يصار الى قتلهم رميا بالرصاص .

على ان النازيين افترضوا ان الذين خانوا اصدقاءهم وجيرانهم وانسباءهم يمكنهم ان يخونوهم كذلك ، فالغوا في النهاية اليودنرات والشرطة اليهودية . ولكن ذلك التعاون الشائن مع القتلة النازيين يبقى احد اشنع الفصول في تاريخ الصهيونية .

وقصة الدكتور الفرد نوشيغ ، احد قدامى اعضاء الحركة الصهيونية ، تختلف بعض الشيء عن قصة قادة اليودنرات . فقد كان لاعوام كثيرة مخبرا للغستابو ووضع بالتعاون مع النازيين خططا لابادة اليهود الفقراء والمسنين . وكان قد بلغ الثمانين من عمره عندما القى مناضلو غيتو وارسو القبض عليه ، ووجهوا اليه تهمة الخيانة واعدموه .

وقبيل نهاية الحرب ، عندما اتضح ان النازيين سيدفعون غاليا ثمن الجرائم التي ارتكبوها ، سارع صهاينة بالغو الاهمية الى الدخول في محادثات معهم فيما يتعلق بمستقبل علاقاتهم . واخذ قادة الغستابو وقوة الامن النازية يجتمعون بزعماء صهاينة امثال ن. مازور ، ج. شتورتش ،